بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وجعله إلى كل خير منهجاً، ومن كل شر مخرجاً. أنزله كتاباً معجزاً ببيانه، شاملاً تبيانه، ساطعاً برهانه، لا يرقى إلى شأوه كلام البشر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسع كل شئ علما، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله.

جمعت رسالته ما تفرق فى الرسالات، وخلّد الله تعالى معجزته دون سائر المعجزات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد دعت آيات من كتاب الله جل شأنه إلى تدبر معانى القرآن الكريم وفهمه، فمن ذلك قول الحق جل ذكره:

﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ (١).

وقوله تعالى فى سورة محمد: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾(٢)

وقوله تعالى فى سورة ص: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ (٣).

وأمرنا الله تعالى بتدبر القرآن الكريم لأنه منبع الخير كله، ومطلع الهداية التى أشرق نورها على قلوب الناس فبدد منها الظلمات، واستأصل منها الضلالات. فمن تمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها. فهو كلام الله رب العالمين :

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٢) سورة محمد الآية: ٢٤.

(٣) سورة ص الاية : ٢٩.

﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١).

ونجد من خلال تلاوتنا له ما يدلنا على عظمة محتواه، وعلى القصد من إنزاله فالله تعالى يقول: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

ويقول جل شأنه: ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣).

ويقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٤).

ويقول تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (٥).

ويقول: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٦).

ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧).

ولقد وصف الرسول الكريم ﷺ القرآن العظيم وصف العارف به، كيف لا ؟. وهو الذى أنزل عليه ليبينه للناس، يقول المولى جل شأنه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٨).

ولعل أجمع حديث لصفات القرآن الكريم ما رواه الإمام أحمد والترمذى عن الإمام على بن أبى طالب(كرم الله وجهه) أن النبى ﷺ قال: «ستكون من بعدى فتن كقطع الليل المظلم، قيل يا رسول الله وما المخرج؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو

---

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢ .
(٣) سورة إبراهيم الآية: ١ .
(٤) سورة الإسراء الآية: ٩ .
(٥) سورة الزمر الآية: ٢٣ .
(٦) سورة ص الآية: ٢٩ .
(٧) سورة يونس الآية: ٥٧ .
(٨) سورة النحل الآية: ٤٤ .

الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾ (١). من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم»(٢).

قال الحافظ ابن كثير: لهذا الحديث شاهد عن عبد الله بن مسعود جاء فيه: (وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب) (٣).

ومهما قيل فى إسناد الحديث فإن البريق الذى يلمع من عباراته دليل على تألقه من مشكاة النبوة. إن هذه الإحاطة الدقيقة بصفات القرآن لا تكون إلا ممن أنزل عليه، وقصارى ما يمكن أن يصل إليه فهمنا من هذا الوصف الجامع للقرآن الكريم احتواء القرآن على كل ما يحتاج إليه الإنسان من عبر يستفيدها ممن مضى قبله. وخبر يتطلع إليه من وراء حجاب المستقبل الغيبى، وحكم يقيم عليه علاقته ببنى جنسه، وإن كل من جانبه من جبار إعراضا عنه لابد له من قاصمة، وأنه فصل ليس بالهزل وكيف يكون هزلاً أو يحتوى عليه وهو

---

(١) سورة الجن الآية: ١.

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث غريب (فضائل القرآن الباب ١٤) وتعقبه ابن كثير فى :(فضائل القرآن ص١١) فقال: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق بن كعب القرظى عن الحارث الأعور (ثم قال) وهو كلام حسن صحيح على أنه روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود..

(٣) رواه الدارمى وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام فى كتاب فضائل القرآن (وهذا غريب من هذا الوجه) وتعقبه ابن كثير ولكن له شاهد من وجه آخر (فضائل القرآن ص١٢)..

obeikandl.com

كلام رب العالمين؟ وأنه حبل الله الذى لا ينقطع بمن تمسك به، ونوره الذى لا يضل من استبصر به[1].

والحديث يتضمن التحذير من سوء العاقبة لأولئك الذين يضربون بشريعة القرآن عرض الحائط، متمسكين بقوانين صاغتها عقول البشر القاصرة، وأنظمة معوجة لا صلة لها بالفطرة الإنسانية، وهؤلاء يحتويهم وعيد الحق فى قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[2].

ولا سبيل إلى تحقيق القرآن الكريم فى حياتنا وتطبيقه التطبيق الكامل إلا بعد معرفة القراءة الصحيحة له، والفهم السليم لأحكامه وآدابه والكشف عن أسراره واستخراج كنوزه، وهذا ليس بالأمر الذى يكون فى متناول كل مسلم يريد أن يتمسك بكتاب الله تعالى.

ولقد رأيت أن أشارك بهذا البحث بعنوان «معالم لفهم القرآن الكريم» رغبة فى تعميم الانتفاع به ومؤازرة لجهود علمائنا الأجلاء الذين كتبوا فى هذا الميدان الفسيح، وكانت تلك الكتابات متفرقة من خلال مصنفاتهم التى اشتملت على إشارات موجزة لكيفية التدبر للقرآن الكريم، فأردت أن أجمع تلك العبارات المتفرقة فى بطون الكتب، وأشرح ما فيها من غموض، وأضيف إليها ما تحتاج إليه فى حسن ترتيب وتهذيب، حتى يستفيد منها من هو فى حاجة إليها، والله أسأل أن يوفقنا للرشاد وأن يجنبنا الخطأ بمنه وكرمه إنه ولى ذلك والقادر عليه وحده.

---

(١) راجع: جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل، للشيخ أحمد بن حمد الخليلى (ج١ص٤، ٥)

(٢) سورة طه الآية: ١٢٤.